قبلكم من الامم الخالية او بايدينا يعني او يصيبكم بايدي المومنين بان نظفر وابكم ويظهرنا عليكم فتربصوا انا
معكم متربصون قال الحسن فتربصوا مواعيد الشيطان انا متربصون مواعيد الله واستيصال من خالفه
قل انفقوا طوعا او كرها نزلت في الجد بن قيس المنافق وذلك انه استاذن رسول الله صلى الله عليه وسلم
في القعود عنه وقال انا اعطيكم مالي فانزل الله تعالى الحجة عليه قل اي قل يا محمد لهولا المنافق وامثاله
في النفاق انفقوا طوعا او كرها يعني انفقوا طايعين من قبل انفسكم ومكرهين بالانفاق بالزام الله
ورسوله اياكم بالانفاق لن يتقبل منكم لان هذا الانفاق انما وقع لغير الله وهذه الاية وان كانت خاصة
في نفاق المنافقين فهي عامة في حق كل من انفق ماله لغير وجه الله بل انفقه رياء وسمعة فانه لا يقبل منه ثم علل
بسبب المنع لقبول بقوله انكم اي لانكم كنتم قوما فاسقين والمراد بالفسق هنا الكفر ويدل عليه قوله تعالى وما
منعهم ان تقبل منهم نفقاتهم الا انهم كفروا بالله ورسوله اذ المانع من قبول نفقاتهم هو كفرهم بالله ورسوله
ولا ياتون الصلاة الا وهم كسالى جمع كسلان يعني متثاقلين في الاتيان الى الصلاة وذلك لانهم لا يرجون على
فعلها ثوابا ولا يخافون على تركها عقابا ولذلك فهم مع فعلها ولا ينفقون الا وهم كارهون لانهم كانوا يعتقدون
الانفاق في سبيل الله مغرما ومنع ذلك الانفاق مغنما فلا تعجبك يا محمد اموالهم ولا اولادهم وهذا الخطاب وان
كان مختصا بالنبي صلى الله عليه وسلم الا ان المراد به جميع المومنين والمعنى فلا تعجبوا باموال المنافقين واولادهم
والاعجاب السرور بالشي مع نوع من الافتخار به مع الاعتقاد انه ليس لغيره مثله وهذا يدل على استغراق النفس
بذلك الشي ويكون سبب انقطاعه عن الله عز وجل فينبغي للانسان ان لا يعجب بشي من امور الدنيا ولذاتها
فان العبد اذا كان بعيدا من الله في استدراج كثر ماله وولده فكثر اعجابه بماله وولده فبطر ويكفر نعمة الله عليه
ولهذا قال تعالى انما يريد الله ليعذبهم بها في الحياة الدنيا **فان قلت** كيف يكون المال والولد عذابا في الدنيا
وفيهما اللذة والسرور في الدنيا **قلت** قال مجاهد وقتادة في الاية تقديم وتاخير تقديرها فلا
تعجبك اموالهم ولا اولادهم في الحياة الدنيا انما يريد الله ليعذبهم بها في الاخرة وقيل ان سبب كون المال والولد
عذابا في الدنيا هو ما يحصل من المتاعب والمشاق في تحصيلهما فاذا حصلا ازداد التعب وتحمل المشاق في
حفظهما ويزداد الحزن والغم بسبب المصايب الواقعة فيهما فعلى هذا القول لا حاجة الى التقديم والتاخير
في نظم الاية واورد على هذا القول بان هذا التعذيب حاصل لكل من بني ادم مومنهم وكافرهم فما فايدة تخصيص
المنافقين بهذا التعذيب في الدنيا واجيب عن هذا الايراد بان المنافقين مخصوصون بزيادة من هذا
العذاب وهو ان المومن قد علم انه مخلوق للاخرة وانه يثاب بالمصايب الحاصلة له في الدنيا فلم يكن المال والولد
في حقه عذابا في الدنيا واما المنافق فانه لا يعتقد كون الاخرة وانه ليس له فيها ثواب فيبقى ما يحصل له في الدنيا
من التعب والشدة والغم والحزن على المال والولد عذابا عليه في الدنيا فثبت بهذا الاعتبار ان المال والولد
عذابا على المنافق في الدنيا دون المومن وقيل ان تعذيبهم في الدنيا اخذ الزكاة منهم والنفقة في سبيل الله غير
مثابين على ذلك وربما قتل الولد في الغزو فلا يثاب الوالد المنافق على قتل ولده وذهاب ماله وقيل يعذبهم
بالتعب في جمعه وحفظه والكره في انفاقه والحسرة على تخليفه عند من لا يحمده ثم يقدم في الاخرة على ملك لا يعذره
وتزهق انفسهم اي وتخرج انفسهم وهم كافرون والمعنى انهم يموتون على الكفر فتكون عاقبتهم بعذاب الاخرة
قوله عز وجل ويحلفون بالله يعني المنافقين انهم لمنكم يعني على دينكم وملتكم وما هم منكم يعني انهم كاذبين في ايمانهم
ولكنهم قوم يفرقون يعني انهم يحلفون ان يظهروا على ما هم عليه من النفاق لو يجدون ملجا يعني حرزا او حصنا
ومعقلا يلجون اليه وقيل لو وجدوا مهربا لهربوا اليه وقيل لو يجدون قوما ياسنون عندهم على انفسهم منكم

لصاروا

لصاروا اليهم ولغاروا فوكم او مغارات يعني غيرانا في الجبال جمع مغارة وهي الموضع الذي يغور في الانسان ان يستتر
او مدخلا يعني موضع دخول يدخلون فيه وهو السرب في الارض كنفق اليربوع وقال الحسن وجها يدخلون على
خلاف رسول الله صلى الله عليه وسلم لولوا اليه والمعنى انهم لو وجدوا امكانا بهذه الصفة وعلى احد هذه
الوجوه الثلاثة وهي شر الامكنة واضيقها لولوا اليه اي لرجعوا اليه وتحرزوا فيه وهم يجمحون يعني وهم يسرعون
الى ذلك المكان والمعنى ان المنافقين لشدة بغضهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم والمومنين لو قدروا ان
يهربوا منكم الى احد هذه الامكنة لصاروا اليه لشدة بغضهم اياكم قوله عز وجل ومنهم من يلمزك في الصدقات نزلت في ذي
الخويصرة التميمي واسمه حرقوص بن زهير وهو اصل الخوارج (ق) عن ابي سعيد الخدري قال بينا نحن عند رسول
الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما اتاه ذو الخويصرة رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال رسول
الله صلى الله عليه وسلم ويلك من يعدل اذا لم اعدل وفي رواية خبت وخسرت ان لم اعدل فقال عمر بن الخطاب
ايذن لي فيه فاضرب عنقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم دعه فان له اصحابا يحقر احدكم صلاته مع
صلاتهم وصيامه مع صيامهم زاد في رواية يقرؤون القران لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الاسلام وفي رواية من
الدين كما يمرق السهم من الرمية وقال الكلبي قال رجل من المنافقين يقال له ابو الجواظ لم تقسم بالسوية فنزلت هذه
الاية وقال قتادة ذكر لنا ان رجلا من اهل البادية حديث عهد باعرابية اتى نبي الله صلى الله عليه وسلم وهو
يقسم ذهبا وفضة فقال يا محمد والله لين كان الله امرك ان تعدل فما عدلت فقال نبي الله صلى الله عليه وسلم
ويلك فمن ذا يعدل عليك بعدي وقال ابن زيد قال المنافقون والله لا يعطيها محمد الا من احب ولا يوثر بها الا
هواه فانزل الله تعالى ومنهم من يلمزك في الصدقات يعني من المنافقين من يعيبك في قسم الصدقات وفي
تفريقها ويطعن عليك في امرها يقال همزه ولمزه واحد اي عابه فان اعطوا منها يعني من الصدقات رضوا يعني
رضوا عنك وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون يعني وان لم تعطهم منها عابوا عليك وسخطوا ولو انهم رضوا ما
اتاهم الله ورسوله يعني ولو ان المنافقين الذين عابوا عليك رضوا بما قسم الله لهم وقنعوا بما اتاهم الله ورسوله
وقالوا حسبنا الله اي كافينا الله سيوتينا الله من فضله ورسوله يعني ما نحتاج اليه انا الى الله راغبون يعني في ان
يوسع علينا من فضله فيغنينا عن الصدقة وعن غيرها من اموال الناس وجواب لو محذوف تقديره لكان خيرا
لهم واعود عليهم قوله عز وجل انما الصدقات للفقراء والمساكين الاية اعلم ان المنافقين لما لمزوا رسول الله
صلى الله عليه وسلم وعابوه في قسم الصدقات بين الله عز وجل في هذه الاية ان المستحقين للصدقات
هذه الاصناف الثمانية ومصرفها اليهم ولا تعلق لرسول الله صلى الله عليه وسلم منها بشي ولم ياخذ لنفسه
منها شيا فلم يلمزوه ويعيبوا عليه فلا مطعن لهم فيه بسبب قسم الصدقات عن زياد بن الحرث الصدائي
قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فبايعته فاتاه رجل فقال اعطني من الصدقة فقال له رسول
الله صلى الله عليه وسلم ان الله لم يرض بحكم نبي ولا غيره في الصدقات حتى حكم فيها فجزاها ثمانية اجزا فان
كنت من تلك الاجزا اعطيتك حقك اخرجه ابو داود **فصل** في بيان حكم هذه الاية وفيه مسايل
المسيلة الاولى في بيان وجه الحكمة في ايجاب الزكوة على الاغنيا وصرفها على المحتاجين من الناس وذلك من وجوه
الاول ان المال محبوب بالطبع وسببه ان القدرة من صفات الكمال وصفة الكمال محبوبة لذاتها والمال سبب
لتحصيل تلك القدرة فكان المال محبوبا بالطبع واذا استغرق القلب في حب المال اشتغل به عن حب الله عز
وجل وعن الاشتغال بالطاعات المقربة الى الله تعالى فاقتضت الحكمة الالهية بايجاب الزكوة في ذلك المال الذي
هو سبب البعد عن الله فيصير سببا للقرب من الله عز وجل باخراج الزكوة منه الوجه الثاني ان كثرة المال توجب

Copyright © King Saud University